

# أطلس الوحشيات في العراق

ثمة وحشيات عدة تناهت العراق خلال العقود الماضية، منها محلية وأخرى كولونبالية، وقد تباينت في أشكالها وطرائقها، وبالرغم من تأثيرها على الإنسان العراقي بشكل مباشر، إلا أنها أُثرت أيضاً في تاريخه الممتد إلى عمق وجود الإنسان على الأرض وما تلاه. إنها الوحشيّة في التعامل مع الحضارات العراقية الغابرة، مع ما تبقى من تماثيل الآلهة وكلماتهم وحياتهم وآثارهم.

وحشية البعث

كان صدّام حسين، القادم من الريف إلى فضاء المدينة أوّل حاكم عراقي مهووس بصناعة تاريخ شخصي، فحاول استعارة بطولات الأولين من سكان العراق وراح يشيد قصوراً بتصاميم غريبة ومطراز معماري عاراق في الرفاه، وهو أطلق شعار «من نبوخذ نصر إلى صدام حسين.. بابل تنهض من جديد» على مهرجان بابل السنوي الذي يدعو إليه كل عام فنانين من مختلف دول العالم، و«أبو» حينها بأن يحفر اسمه على لبنات مدينة بابل الأثرية، ما حدا باليونسكو إلى شطبها من لائحة التراث الإنساني العالمي وتحولها إلى مدينة «سياحية»، وإفراطه في هذا الجنون، سرت شائعة بأنه استعار من المتحف الوطني طوق الملكة شبعام ليلبسه لزوجته، وبغض النظر عن صحة الواقعة، وإن تكن الرواية من نسج خيال الناس، فهي معيرة بذاتها! وفي محاولة أخرى لإحجام اسمه على جدار أهم نُصب بغداد، وهو نصب الحرية لجواد سليم، الذي شيد في زمن عبد الكريم قاسم أول رئيس للعد الجمهوري، أقام صدام حسين نافورة ماء تتقدم النصب وكتب عليها «شيد في زمن القائد صدام حسين»، ليومم الأجيال القادمة أن النصب شيد في زمنه، إلا أن الاعتراضات الكثيرة على النافورة التي شوهت النصب من جانب، وهددت أسسه بألباه من جانب آخر، اضطرته لرفعها.

وفي عام 1991، أثناء انتفاضة العراقيين على النظام الذي جرحه إلى كارثة حرب «تحرير الكويت»، تحركت «جحافل لصوص الآثار» مستغلة الفوضى، لنهب 13 متحفاً في مدن الانتفاضة سارقة المقتنيات الموجودة ومدمرة المباني، الأمر الذي تسبب بفقدان الكثير من الآثار البابلية والسورية والآكادية.

بعد ذلك، شرع اهل النظام في حفر المواقع الأثرية من أجل استخراج اللقى وبيعها، وكانت أكثر الأعمال رواجاً لعدد من الفنانين والنحاتين هي تزوير الآثار من أجل بيعها في العاصمة الأردنية عمّان. وشاع أن المشرف على عملية تهريب وبيع الآثار كان أرشد ياسين، المراق الأقدم لصدام وزوج اخته غير الشقيقة.

وحشيّة البيت الأبيض

بعد احتلال القوات الأميركية لبغداد، طلب بعثام أبو الصوف، مستشار المتحف الوطني آنذاك، من دباية أميركية أن تقف أمام بوابة المتحف من أجل حمايته من السرّاق الذين توزّعوا على الدوائر الرسمية لتهبها. إلا أن طاقم الدباية رفض الطلب، لأن الأوامر لم تكن قد صدرت لحماية المتحف (لم تحم واشنطن إلا مقر وزارة النفط من العبث)، وبعد أن تمت سرقة آثار المتحف، دبت الغيرة في القيادة الأميركية وهبت دباية في اليوم التالي لـ «حماية المتحف!..» وفي هذا الوقت، كانت دبابات أخرى تتحرك على أضلاع مدينة بابل الأثرية، وجنود المارينز يستريحون على ظهر أسد بابل، فيما جنود آخرون يعقدون اجتماعاً على مدرج المدينة الأثري، بينما إلى شمال العاصمة، كان جنود آخرون يخفّفون من أحلامهم في مدينة سامراء بالقرب من الملوية الأثرية التي بنيت في العصر العباسي. وأدى تواجد الجنود في هذه المدن الأثرية إلى إلحاق أضرار بالبواريات والأرضيات وبعيضم ما تبقى من الآثار.

أحصت منظمة اليونسكو سرقة نحو 15 ألف قطعة أثرية من المتحف

15 | 1

لماذا محطة مترو أنفاق السادات الواقعة في ميدان التحرير بالقاهرة مغلقة منذ أشهر، بلا سبب ولا تبرير؟ تكهنات! واختلاق توترت أصولي في غزة بفضل دأب سعودي قديم.

2

الغرب يراجع سياسياته في ليبيا بسبب الحصاد المر هناك.. ربما بعد خراب البصرة. ونسيمة جبال واحدة من 10949 مجاهدة جزائرية.. تاريخ منسي. و«الزاوية الحمراء»: النقد الذاتي يا بقر.

3

مصر «العائدة» من ليبيا والأخرى «العالقة» فيها: عن بؤس الناس وطبيعتهم غير المحدودة. وعن البؤس أيضاً، صور من عمال مقالع الحجارة والرخام في المنيا.

4

تفصيل من بوابة عشتار / بابل، بناها نبوخذ نصر (580 قبل الميلاد)



الوطني في كرخ بغداد، قام بعض الجنود الأميركيون وموظفو الشركات المرافقة لهم بسرقة بعضها، ووجد الكثير منها في البازارات الأميركية المختصة بالفنون، ولم يعد من كل تلك الآثار سوى 4 آلاف قطعة فيما بقي جزء كبير منها مجهول المصير.

وحشية المحاصصة

تحتدّر أغلب الحخشيات التي تناوبت على حكم البلاد منذ عام 2003 وحتى الآن من أحزاب إسلامية لا تختلف وجهة نظرها تجاه الآثار عن الإسلام الأصولي الذي يصنفاها كـ «أصنام»، ولذا، لم تحظ الآثار طوال العقد المنصرم بالإهتمام في إعادتها من الدول التي تعرض التراث العراقي في متاحفها، ولا البازارات التي تتبع القطع الأثرية علانية، ولا حتى ترميم البيوتات والمتاحف وفقاً للمعايير العالمية (لا تزال مدينة بابل خارج قائمة التراث العالمي بسبب مخالفات صدام حسين والحكومات المحلية التي تلت)، بالإضافة إلى أن موسم الأمطار كل شتاء كان يشهد إغراق المزيد من المخطوطات والتماثيل في مخازن المتحف الوطني لوجود خلل في بنائه على أثر شعبة فساد في عقد ترميمه، والذي نبّهت اليونسكو إليه أكثر من مرّة دون أن تلقى استجابة من أحد.

وحتى هذه اللحظة، لا تعلم الحكومة العراقية كيف وصلت مخطوطة توراة نادرة تخص العراق إلى إسرائيل في كانون الثاني / يناير(احتفل لبيرمان والحاخامات بوصولها)، ولم يجر التحقيق بكيفية تهريبها ومن المسؤول عن ذلك، إذ اكتفت وزارة السياحة بالتنديد، فيما أعلنت واشنطن عدم مسؤوليتها عن الموضوع، وهكذا تم نسيان الأمر بشكل عاجل.

وأثناء ذلك، فقدت بغداد نصف البيوت التراثية التي يعود تاريخ بنائها

## «الشرفاء» في المغرب كانت لديهم صكوك

منعت وزارة العدل ووزارة الداخلية المغربية طبع وتوزيع أو حمل بطاقات «الشرفاء».. وفسر المنع بـ «عدم سرورية هذه التصرفات ومخالفتها للقانون»، لذلك أعلنت الحكومة تعليمات بمعالجة «مرتكبي هذه الأفعال بتقديمهم للعدالة»، ما هي هذه الأفعال بالضبط، ومتى بدأ ذلك وما تفسره في السياق الاجتماعي المغربي؟

اليكم الأفعال:

يضع شخص ما بطاقة الشرفاء على زواج السيارة الأمامي، على البطاقة الخضراء خليط من رموز ملكية ودينية ووطنية، وقد كتب عليها «يجب احترام وتوقير حامل هذه الشارة»، ويدّعي صاحب بطاقة الشرف أنه من سلالة آل البيت ويستخدم هذا الرأسمال الرمزي للنصب ولخرق قانون السير... وأيضاً لاقتراح نفسه في مسابقات، ففي مجتمع يعيش حالة سلام مع الفساد تكون للوساطات عائدات سحرية.

وقد زالت الحاجة للإقلال من العقاب بعد زيادة الغرامات في بلاد السير الجديد. بظن الشريطي أن الشريف حامل البطاقة سيدعو عليه بالعلك، وأن الله سيستجيب، ويقول المغاربة إن الشرطة تستخدم بطاقة الشرف مع المواطنين العاديين وتتسابق مع ذوي النفوذ. ويحكى أحد السابقين أنه اشترى «البطاقة الخضراء» من أجل تمويه مخالفته.

من فوائد البطاقة: اختلاق الوجاهة، زعم التمييز في الدم، تحقيق مصالح ملتوية، المتاجرة في النسب في بلاد الشرفاء.. النسب ماركة تجارية مربحة للتصرف فوق القانون بفضل السلطة الرمزية للمتصرف التي تحفظ في المجالين الاجتماعي والسياسي، لذلك فالتاس يختلفون أصولهم ويدفون لمن يتاجرون في الأُنساب، يوجد طلب ويستجيب له العرض، عرض امتيازات شرفاء لهم علاقة دموية بقريش. يتمتع الشريف الجديد حائز البطاقة بامتياز، فهو أرقى من غير الشرفاء، أي المواطنين العاديين وقد يصفهم بأنهم «بوزيال».. الذين لا يلزمهم التوفير ويجوز في حقهم التحقير.

حظي قرار الحكومة بالمساندة الشعبية. فمتع البطاقات سيجعل الجميع تحت القانون. ويلقي المنع ضوءاً على الدلالات السوسيوثقافية للنسب الشريف ووظائفه في القرن الحادي والعشرين. في صغرى، كان الشريف المعجوز يأتي إلى بيتنا في كل صيف لجمع الحبوب، يمنحه جدي بغله لجمع «العشور» من الفلاحين. لا يعطي الفلاحون هذه الزكاة إلا للشريف. لا يعطي جدي بغله للفلاحين. لكن يعيره للشريف لحوالي عشرين يوماً. كان الشريف حفيد الولي الصالح دفين القرية واسمه «سيدي اليماني». يأتي الشريف

للرسول. كانت هناك الأسرة السعدية التي تحدر من سلالة السعدية مزرعة الرسول. والآن تحكم المغرب الأسرة العلوية، يتساءل بروفنصال إن كان هذا الإصرار على الأصل النبوي راجع إلى البعد عن موطن ظهور الإسلام.

يحكي المؤرخ عبد الواحد المراكشي في كتابه «العجب في تلخيص أخبار المغرب» أن القائد عبد المومن بن علي (توفي سنة 1163 ميلادية) وهو

مؤسس الدولة الموحدية التي حكمت من موريتانيا حتى غرناطة وليبيا – كان يتشبه بالرسول «فزادت فتنة قوم به واطغروا له شدة الطاعة».

إن التاريخ الديني مدخل أساسي لتحليل وفهم تاريخ الدولة في المغرب. فلهذا التاريخ دور حاسم في تشكيل البنية التحتية للإنسان المغربي. وهي تتعدد في الدولة والمجتمع، ويمكن نقل خلاصات تحليل المجال الديني إلى المجال السياسي.

يحكي المؤرخ الورفاني في كتابه «نزّهة الحادي من أخبار القرن الحادي» أن أحد المؤرخين حرر شجرة نسب ثبتت انحدر الأسرة البريحية المالكة من الرسول وقدمها للسultan. ويضيف المؤرخ «إن السلطان أبا الحسن البريني (توفي 1351ميلادية) رفض الشجرة ورد على مقدمها شاكرًا له صنيته وقائلًا له، إن كانت هذه الشجرة شامخة له صنيته من الله الجزء في الآخرة، ولكن إذا كان غير مؤكد فحنن لا نريد تحمل وزر ذلك». وقد كان البرينيون

سألت صديقاً – شريفاً بالولادة ويسارياً بالتكوين – عن واقعة السلطان البريني فقال بأن الملك المؤسس بحاجة الى النسب النبوي يعكس الملك المتكمن، فالتأسيس يحتاج للنسب، والقبيلة البرينيون كانت لديهم القبيلة فاختلفوا النسب.

إذا كان هذا حال الملوك فكيف يكون حال الناس العاديين؟ إن قرار الحكومة بالمنع نصف خطوة. وهي رفضت منع تسجيل الولاد مع صفة سيدي أو مولاي، لهذا يستمير بطاقات الشرف لأنها ليست موجهة ظرفية بل ممارسة اجتماعية راسخة. لذلك يتقدم الجدول ليس لنفي الامتياز بل للتمييز بين الشرفاء الحقيقيين والشرفاء الزيفيين. أكد ملاحظ مدقق أن الشرفاء الحقيقيين موجودون لكنهم لا يتباهون، والمزيفون يتمددون.

كيف نميز بين النوعين؟وعلام؟

اقترح معلق ساخر فرز الدم العادي من الدم المقدس باعتماد تحاليل دي إن إيه DNA لمعرفة من ينحدر فعلاً من آل البيت بأخذ عينة من رفاتهم.

محمد بنغريز

كاتب وسينمائي من المغرب



### فلتُقطع رؤوسهم!

إن كان ثمة حاجة لدليل على الأهمية الكبرى التي حاز عليها فلسطينيو 1948 منذ انهيار مشروع «النسوية السلمية» بأخر صيفها، أي وفق اتفاقية أوسلو، فتفاصيل الحملة الانتخابية الجارية في إسرائيل هذه الأيام، ومفرداتها، توفر ذلك. هذه الأهمية لا ترتبط بوضع ظرفي يتعلق بالنجاح في تشكيل القائمة العربية المشتركة. صحيح أن هذه ظهرت الكتلة الناحية الفلسطينية كطرف يحسب حسابه في تقديرات المقاعد القابلة للانتزاع، وفي البواقى المتّحة لما يمكن أن يتحول الى تحالفات مع جهات (صهيونية بالضرورة ولو بدت «معتدلة»، ولو كان اسمها مثلاً «ميريتس»)، تقوم على الجنوح لإنزال الخسائر بتنتياهو وينبئ وت من على شاكلتها، وهو ما يضغط من أجل الاتفاق عليه من يعتقدون أنهم حلفاء طبيعيين، وبعيضيون (وبشتمون مضحين عن عنصريتهم هم أيضاً وعن تعاليمهم الاستعماري) حين تبدو القائمة غير مكرّثة به أو متوافقة على رفضه، كما هي حتى الآن.

نقطة القلب من الأمر ومن شروط الممارسة القائمة، أي ما هو استثنائي حقاً، تتعلق بمعنى وجود أقلية فلسطينية يُفترض أنها أيضاً إسرائيلية، بينما هي في الواقع تجسيد لوجود المعطى الاستعماري ولوجهه الأكثر قبحاً. ويفترض أن هدف الفعل الفلسطيني هو بلورة هذا التناقض بوصفه ما يلخص الصراع، وما يرسم حدوده الوجودية. فليبرمان مثلاً يريد (حرفياً) «قطع رؤوس العرب الإسرائيليين» الذين لا يبديون وفاء لدولة إسرائيل، وسيكون «سعيداً» بإعطاء بلدة أم الفحم إلى أبو مازن، لأنه يعيب عليها أن ترفع الأعلام السوداء حزناً في يوم النكبة. ما يفترض علناً وليس ضمناً أن على الفلسطينيين أن يكونوا ممتنين لوضعهم، وإلا عملوا كخونة جاحدين. «ما لم تفعل ذلك فلن يبقى لنا وجود في هذه البلاد» يقول ليبرمان.

التعبير عن قلق الوجود هذا يتكرر. فقد حملته التيار الإسرائيلي الذي يرى في تنتياهو وسياساته الأvlطدام مع الإدارة الأميركية، اللجوء إلى الحروب لتجاوز الأزمات الداخلية الخ.) خطراً عظيماً على «وجود إسرائيل»، كما قال في مهرجان حاشد منذ أيام ماثير داغان، وهو ليس بالرجل طربي العود، بل كان رئيس الموساد، مضيقاً أن خطر «الدولة ثنائية القومية» مائل بقوة.

كان يصعب الوقوع على أدبيات أكثر جلاء في التعبير عن التناقض الذي يحكم نشأة إسرائيل ويرافقها مهما تبدلت الظروف، والذي.. لا حل له.

نحلة الشهال

# ملف

## محطة مترو السادات..

## جرح «التحرير» الغائر

بارز على ما يمكن أن تفعله الأيديولوجيا ضد الإنسان، بعد 3 تموز/يوليو 2013 على الفور فُرض حظر تجوال، واستجاب له المصريون بقوة شديدة، بدأ حظر التجوال من الساعة مساءً، وتم تأخير وقته بالتدريج حتى انتهى تماماً فيما بعد. التواطؤ الشعبي مع حظر التجوال، وركضهم في الشوارع للوصول لبيوتهم قبل موعد الحظر، وامتناعهم عن النزول في الليل.. يتضح عندما نتذكر أن هذا لم يكن أول حظر تجوال يفرض منذ 2011. فقد فرض حظر تجوال في 28 كانون الثاني/يناير 2011، وفرض حظر تجوال آخر في مدن القناة في عهد محمد مرسي، ولم يستجب لها المصريون وإنما، العكس، حرصوا على تحديهما. الدافع الأساسي لاستجابة المصريين لحظر تجوال 2013 كان شوقهم لإعادة هيبة الدولة.

هناك شيء خطير يستشعره المصريون في الدولة. تبدو الدولة في هذا المزاج وكأنها مرغوبة لذاتها، خوفاً بالطبع من «الفضوض» ومن «مصر سوريا والعراق». لهذا فقليلاً ما ينزل المصريون الآن لتظاهرات احتجاج ضد

قرارات، بينما نزلوا ضد قرارات أقل وطأة منها بكثير أيام محمد مرسي (مرسي كان قادماً من خارج الدولة، أما السيسي فقادهم من قلب الدولة). حتى وبينما الدولة تصعب حياة الناس مجاناً، وبلا أي مقابل، فهم لا ينزلون ضدها. وهذا يسري على حظر التجوال كما يسري على المترو.

#### سجل مبارك والسيسي

يتهم المثقفون من محبي الدولة المصرية المعارضين بأنهم «يحملون الدولة المسؤولة عن كل شيء». وفي المقابل فهؤلاء المثقفون ينسبون أي مشكلة في مصر الآن إلى «مشاكل المجتمع»، وبالتالي يبرؤون الدولة من دورها في «إدارة حياة الناس». هذا الحجاج التافه مفاده الوحيد أن المسؤولين غير مسؤولين، وأن غير المسؤولين هم المسؤولون. ولكن حتى إذا سلمنا بأن وظيفة الدولة ليست تحسين حياة الناس، فهل يكون دورها هو «جعل حياة الناس أكثر صعوبة»؟ هذا هو ما حدث في موضوع غلق محطة مترو «السادات».



عبد الهادي الجزار - مصر

بعد فض اعتصامي رابعة والنهضة، في 14 آب/ أغسطس 2013، أغلقت محطة مترو السادات، التي تؤدي إلى ميدان التحرير. المحطة مهمة في شبكة مترو أنفاق القاهرة لكونها إحدى محطتين يمكن التبديل فيها من خط مترو لآخر، وهو ما خلق ضغطاً بشرياً شديداً في محطة مترو «الشهداء» حالياً («مبارك» سابقاً)، وهي المحطة الثانية التي يمكن تبديل الخط فيها. الضغط البشري يترجم تحت الأرض إلى زحام شديد، وعرق، وروائح متعفنة، وتحرش يحدث كل يوم.

ظلت حجة واحدة وحيدة تقدم لغلق محطة مترو السادات: تجزيم المحطة أمنياً. ولكن على مدار عام ونصف ظلت فيها المحطة مغلقة، عُدّ على مئات القبائل في عشرات الأمانكن في مصر كلها، من الشرق إلى الغرب، مما جعل حجة التجزيمات الأمنية مضحكة وغير مقنعة للجميع ومدحوضة بشكل مطلق. ربما كان غلق المحطة قد حدث تحت وطأة اعتقاد بريء أن الشر لن يخرج إلا من ميدان التحرير، أما مواصلة غلقها بينما يخرج «الشر» من كل مكان في مصر الآن، فهو يدل على التعتن ورفض الاعتراف بالخطأ واعتبار التراجع عن قرار ما استسلاماً. لماذا لم تفتح المحطة على مدار سنة ونصف وحتى الآن؟ لأن هذا سيبدو كأنه انصياع لرغبة المعارضين، وهو ما تأباه الخلفية العسكرية الصارمة للنظام الحاكم. دعونا نتذكر أن رئيس الجمهورية الحالي، عبد الفتاح السيسي، ليس إدارياً، ليس معنياً بإدارة حياة الناس، وإنما عسكري يعني بالواجهة وعدم الاستسلام، والاستسلام هذه المرة محوره ميدان التحرير والسيطرة عليه. ولو على حساب كل الجحيم الدائر تحت الأرض.

منذ ما يقرب من عام ونصف ظلت المحطة مغلقة، بلا مبررات لغلقتها، سوى جرح نرجسي تجاه ميدان التحرير. هذا في الوقت الذي تهب فيه الإذاعة الداخلية للمترو «بالسادة الركاب عدم التعامل مع الباعة الجائلين وعدم التعاطف مع التسولين»!

#### شعب ما تحت الأرض

ولكن على الصعيد الآخر، فاللايين من الناس يتعدّون في النفق تحت الأرض، ويمجرد أن يلمسهم نور النهار ينسون كل العذاب. لماذا لم يحتج الناس ضد هذا؟ لماذا لم يحتج مواطن يضطر للمشي نصف ساعة في شمس الصيف الحارقة أو تحت أمطار الشتاء للوصول لعمله؟ لماذا لم تحتج على غلق المترو فتيات يتعرضن للتحرش كل يوم في محطة «الشهداء» التي تضاعف اكتظاظها؟

يمكن القول إن تاريخ العقابات الجماعية منذ 2011 هو تاريخ قصير في مصر. العقابات الجماعية كانت محدودة وتوجه بالأساس لمثري الشعب والمتظاهرين، أو من يفترض فيهم أنهم كذلك، أو من يتم القبض عليهم عشوائياً في أماكن الشعب والتظاهرات. ولكن بعد وصول المجلس العسكري إلى سدة الحكم، توالى العقابات الجماعية، وتم بنا أساسها تغير نمط حياة الناس (يحسن على أن نتذكر أن تغيير نمط الحياة هذا كان واحداً من السجلات المترددة ضد الإخوان: هم سيمنعون البيكيني والخمر). والجديد أن هذه العقابات الجماعية حدثت بتواطؤ ومباركة من قطاعات الشعب المتضررة هي نفسها، في دليل

# الدين السعودي في غزة!

العربية المجاورة، من تصاعد دور الجماعات التكفيرية المسلحة ذات الخلفية السلفية أو ما بات يعبر عنه اليوم بخطر داعش. وتوزع بيانات وهمية باسم التنظيم المذكور، إضافة لأخرى فعلية تبثها مجموعات سلفية جهادية تتماشى معه.

كان الوجود الرسمي لجهات سلفية في قطاع غزة يقتصر منذ التسعينيات من القرن الفائت على بضع جمعيات سلفية تتلقى تمويلها من الملكة السعودية وتقدم الخطاب الديني نفسه السائد هناك، ويطلق عليها بعض القريبين من الجدل الديني «سلفية أولى الأمر». ولا يتجاوز جمهور هذه الجمعيات او حتى العارفين بنشاطها بضع مئات في أوسع التقديرات، كما هو حال جماعة «الدعوة والتبليغ» أو ما يعرف بـ «السلفية العلمية»، المنطلقة من مسجد وحيد في قطاع غزة. ولكن، وعلى الرغم من ضآلة دور وتأثير هذه الجمعيات، فإن المقولات «السلفية» الأساسية هي الأكثر شيوعا على لسان المتدين الغزي، بل إن امتداد هذا النمط من التدين عابر للتنظيمات والتقسيمات السياسية الفلسطينية. فمعظم المصلين في مسجد جماعة الدعوة والتبليغ هم من عناصر حركة فتح وضباط ومسؤولين متوسطين في أجهزة ووزارات

السلطة الفلسطينية. وبات من المؤلف أن تجد الغزي يعرف عن ذاته على مواقع التواصل الاجتماعي بصفته «مسلم - سني» هذا الأمر ينطبق حتى على غير الملتزمين بالعقائد الدينية. غرابة الأمر انه لتعرف عن ذاتك كسني فيجب ان يكون هناك احتمال آخر وهو غير موجود في غزة (نطاقنا). بل وحتى سنوات قريبة سابقة، كان سكان قطاع غزة يطلقون خلطة مسميات على أتباع التنظيمات اليسارية الفلسطينية، تخلط بين الشيوعيين والشيعية («شيعية وشوعية وشوعيين»). ولطالما كان هذا الخلط موضع تندر.

الدور الذي لعبته هذه الجمعيات السلفية الرسمية كان محدوداً بالفعل، فلقد سبق ان سيطرت المؤسسة الدينية السعودية على عملية «تعريف الدين والتدين» في قطاع غزة. فمع السيوولة المالية الهائلة المتأتية من قفزة أسعار النفط في سبعينيات القرن الفائت، عملت السعودية على تعميم نموذجها الديني على معظم بلدان العالم العربي، وفي غزة عمل بشكل رسمي الشيخ الراحل سليم شراب بصفته ممثل «الملكة العربية السعودية» في فلسطين، وممثلا لفلسطين لدى إدارة «البحوث العلمية

لماذا أنشئ المترو أصلاً؟ تبدو الإجابة بديهية لدرجة مضحكة. لأن المترو سيسهل المرور وسيسهل بالتبعية حياة الناس. يمكن هنا أن نقول شيئاً ما عن مبارك الذي أنشئ المترو في عهده، بمعونة من جاك شيراك. هل فكر مبارك وهو يفتتح المترو في أن هذا سيفتح الباب للعمليات الإرهابية، ويتعارض مع الدور الأمني للدولة في قمع الاحتجاجات؟ بالتأكيد لم يفعل، وبالتأكيد كان تسهيل حياة الناس بالنسبة له دوراً بديعياً من أدوار الدولة، ديكتاتورية كانت أم ديمقراطية. لم يغلُق مبارك محطة مترو «السادات» إلا في لحظة استثنائية للغاية، وهي لحظة اندلاع «ثورة 25 يناير»، وأغلقتها بهدف تقني وهو عرقلة الناس عن الوصول لميدان التحرير. أما السيسي فقد أغلقها بعد إخماد جميع التظاهرات وفض جميع الاعتصامات، وهي باقية مغلقة بلا أي هدف.

نبقنا هذا إلى السجل الدائر حول مبارك، فالباركيون القدامى الذين أصبحوا سيساويين جداء، وبعد تسريبات أشارت إلى احتقار السيسي لمبارك، وبعد اضطرابهم

لتبرير فشل الدولة بأنه «البراث الفاسد لعصر مبارك»، اندفعوا هم أيضاً أخيراً لذم مبارك. السيسي ليس مبارك، هذا ما يقولونه دفاعاً عنه، ومعهم الحق، لأن السيسي جاء لـ «إعادة هيبة الدولة»، ولـ «إعادة الاستقرار للشارع»، وهما الشعاران اللذان لم يكونا واردين أصلاً أيام مبارك، ومن ضمن مظاهر «إعادة هيبة الدولة» الانتقام من ميدان التحرير.

#### هل تخرج ثورة من الأنفاق؟

مستخدمو المترو هم قطاعات واسعة من الشعب المصري. ومن بينهم بالطبع من يُصلح على تسميتهم بـ «الفلول»، و «الثوريين»، و «الإسلاميين»، ويحيط بهم شعب لا يكتثر لكل هذه التصنيفات. السؤال الآن: لماذا لم يطرح أعداء النظام الحالي، ومنهم الإسلاميون والثوريون، موضوع «محطة السادات» كعنصر من عناصر معارضتهم للسلطة الحاكمة؟ بالنسبة للإسلاميين لإيجابية واضحة، لأنهم يركزون على ما هو أهم من وجهة نظرهم: على إفساد علاقة السيسي بالسعودية، على مناجاة تركيا،

ولكن هناك سبباً آخر. فالثورة أصلاً

كانت أجدتها الأساسية من البداية هي أجندة الحريات السياسية، الديمقراطية، الانتخابيات، التداول السلمي للسلطة، إيقاف التعذيب في أقسام الشرطة، وما إلى ذلك. أما تحسين حياة البشر، المجاميع الأكبر غير المسيسة، فقد اهتم به الثوريون بدرجة أقل. يمكن القول إن اليسار الجديد في مصر جعل للحريات السياسية الأولوية على شروط حياة الناس، في مقابل اليمين الحاكم والموالي، الذي يعارض الاثنين. أو إذا قلنا هذا بشكل فح، فاليسار الجديد طور أجندة ليبرالية أكثر مما هي يسارية، على عكس اليسار القديم والليبراليين الذين طوروا أجندة فاشية أكثر مما هي ليبرالية أو يسارية.

في أي حدث، كبير وصغير، يشتعل استقبال عميق الآن على مواقع التواصل الاجتماعي. كلمة السر طبعاً هي السيسي، الذي يختلف عليه المصريون كما لم يختلفوا من قبل على رئيس جمهورية. ولكن في المقابل، ففلق محطة السادات لم يثر جدلاً من أي نوع، وذلك على رغم كونه الجريمة الأكثر نقاء التي تتم ضد القطاعات الأكثر اتساعاً و «براءة»، في الشارع المصري. تتردد أصوات منفردة وخافتة ضد الفلق من جانب المعارضين، ويسكت المؤيدون تماماً عن هذا، على ما يبدو، لأنهم مستزفون في تبرير قرارات السيد الرئيس، وغير قادرين على مواصلة تبرير موضوع مثل هذا، موضوع يبدو غير مهم، لأنه لا يحظى بسجل اجتماعي، ولن يؤدي بالتالي إلى «إسقاط الدولة».

هكذا، في ظل تفاضي الدولة عن دورها الإداري وتباھيها بدورها القمعي، وفي ظل تحول موضوع المعارضة السياسية إلى الإكتفاء بالدفاع عن المعارضين السياسيين، وفي ظل خوف ملايين البشر من التصريح بشكاواهم الحقيقية حرصاً على دولتهم الأسطورية، ستستمر معاناة المصريين.. تحت الأرض.

#### نائل الطوخي

روائي ومترجم من مصر

اليوم لا تكاد تجد خطيب مسجد في قطاع غزة لا يعرف عن ذاته بصفته «سائراً على منھاج السلف الصالح»، أي باختصار كـ «سلفي»، فيما تتراكم بضعة أكياس من النقابات على حائط ضريح الامام الشافعي في مدينة غزة، ويقوم على تدريس المساقات الإسلامية، و «المجمع الإسلامي»، وبناء أكثر من 63 مسجداً، والإهم ابتعاث المئات من الطلبة الفلسطينيين لتلقي العلوم الشرعية في الجامعات السعودية بمنح مجزية. يروي محبو الراحل شراب، القرب من رجل الدين السعودي عبد العزيز بن باز، احد مآثره بأنه رفض 10 منح من جامعة كويتية لأنها كانت في اختصاصات أخرى غير العلوم الشرعية.

ورغم نجاح تنظيم الإخوان المسلمين في غزة بقيادة الشهيد الراحل احمد ياسين في انتزاع المؤسسات الثلاث الأكبر (الجامعة، الجمعية، المجمع) من يد ممثلي المنظومة السعودية الرسمية، وتحويل هذه المؤسسات الى نقاط انطلاق لتأسيس حركة حماس، إلا انه حصل عليها بحشوتها «السلفية» السعودية، ولم يلجأ لتنظيم الإخوان في غزة أو حركة حماس الى اجراء أي تحول في منظومة تعليم الدين هذه أو خوض أي مواجهة مع تجلياتها أو مقولاتها الدينية، بل ان تأثير هؤلاء امتد لداخل حماس أكثر من غيرها.

# السفير العربي

10.7 ملايين دولار هي قيمة التراجع الذي سجلته إيرادات قناة السويس

في شهر كانون الثاني/يناير، ولم تكشف المصادر الرسمية عن أسباب التراجع، في مكان يعدّ مصدراً رئيسياً للعملة الصعبة بالنسبة إلى مصر.

إذ تمثل إيراداته 10 في المئة مما يدخل البلاد سنوياً.

#### عرفات الحاج

باحث من غزة، فلسطين

70 مليون ليتر من الخمر التقليدية (المحاي) استهلكها المغاربة العام 2014. وينتج هذه الخمر 20 مصنعاً منتشرة على الأراضي المغربية تؤمن 60 في المئة من المشروبات الكحولية التي تباع في السوق بأسعار متدنية مقارنة بأسعار المشروبات المستوردة وتلك التي تنتجها مصانع نظامية.

# الغرب بإزاء الحصاد الليبي المر

بعد سنوات أربع من اشتعال الثورة في ليبيا والإطاحة بحكم معمر القذافي بمعاونة حاسمة من قبل حلف الناتو، تبدو العواصم الغربية في حال مراجعة جدية لخياراتها في ليبيا وكيفية التعامل مع الوضع المتفجر هناك. وأهمية ليبيا تتمثل في قربها من السواحل الغربية لجنوب أوروبا، وبالتالي فعدم الاستقرار فيها يفتح الباب أمام تدفق المهاجرين، إضافة الى احتمال تمدد المجموعات المسلحة فيها، وبخاصة إذا وضع في الاعتبار ثروة ليبيا النفطية التي يمكن أن تشكل عاملاً مؤثراً في الصراع من أجل السيطرة على الأوضاع هناك.

القلق الغربي والأوروبي تحديداً مما يمكن أن ينتهي اليه الوضع في ليبيا أدى الى مراجعات واضحة في كيفية التعامل مع تلك الأزمة، وعلى رأسها الإشارات القوية الى ان الشرعية الانتخابية ليست الوسيلة الوحيدة للتعامل مع القوى السياسية. ولهذا بدأت العواصم الغربية تتواصل مع مجموعات «فجر ليبيا» المتهمه برفع السلاح بعد خسارتها انتخابات العام الماضي، وذلك على أساس الدفع للتوصل الى توافق وطني، لأن الصراع لا يمكن حسمه عسكرياً. بل ذهبت خطوة متقدمة برفض الاقتراح المصري السنود من بعض دول المنطقة، مثل الإمارات، والى حد ما السعودية والأردن. بأن يصدر مجلس الأمن قرارا يسمح بالتصدي العسكري للمجموعات الإسلامية وذلك على أساس انها امتداد لـ « الدولة الإسلامية». وبلا من ذلك، تدعو العواصم الغربية الى إعطاء الجهود الأمنية الدعم اللازم لتأني أكلها. بل لم يبد الديبلوماسيون الغربيون لدى الأمم المتحدة ترحيباً باقتراح رفع الحظر عن توريد السلاح لحكومة طبرق الشرعية ورفض حظر بحري على الموانئ التي تقع تحت سيطرة مجموعة «فجر ليبيا» الموجودة بصورة رئيسية في مدينتي طرابلس العاصمة ومصراته. وعبر عدد من العواصم الغربية عن عدم رغبتها في تكرار التجربة المصرية مع الإخوان. وهي ترى انه من الأفضل استيعاب المجموعات الإسلامية في إطار عملية سياسية عامة لا الدفع بهم الى أحضان المتطرفين من أمثال داعش. ويبدو ان القاهرة فهمت الرسالة، إذ نقل عن مساعد وزير الخارجية المصري قوله إنه لا بديل عن الحل السياسي، على ان تضي جهود محاربة الأزهاب بالتوازي مع الحوار..وكان لافتاً للنظر ان هذا الموقف أدى الى تشجيع الرئيس السوداني عمر البشير على الانتقاد العلني للغارات الجوية المصرية على أساس انها استفقد المشكلة ولن توفر حلا.

اجتماعات بناءة

فقط اجتماعات أولية في ليبيا في العام الماضي، وأخرى في المقر الأوروبي للأمم المتحدة في جنيف في الشهرين الأولين من هذا العام، شعر البعث الأممي الى ليبيا الديبلوماسي الأسباني بيرناندينو ليون بشيء من التفاؤل إثر الاجتماع الأخير الذي استضافته المغرب في الصحيرات مطلع هذا الشهر للمجموعات المتقاتلة في ليبيا لدرجة وصفه الاجتماع بإيجابي البناء، وهو تفاؤل شاركته فيه رئاسته في نيويورك التي قررت تمديد مهمته بأمل التوصل الى اتفاق بشأن حكومة توافق وطني وتحديد مبادئها، مما يمكن أن يفتح الباب أمام معالجة الوضع الأمني وإشراك مختلف مكونات المجتمع الليبي القبلية والمناطقية في الحركة السياسية. ومع ان حكومة طبرق تشعير انها في موقف قوي بسبب الاعتراف الدولي بها، وأن مجموعة «فجر ليبيا» ستجد نفسها عاجلاً أو آجلاً في مواجهة المتطرفين الاسلاميين، الا ان الطرفين يخشيان ان يشهد شهر آذار /مارس الحالي عدم قدرة المصرف المركزي على تقديم الدفيعات المالية النقدية التي تذهب الى المجموعتين وأتباعهما، ورغم ان ليبيا استثمرات تحت إشراف صندوقه السيادي تقدر بنحو 60 مليار دولار،



باسم مجدي - مصر

الى جانب استثمارات أخرى، الا ان السيولة المتوفرة لدى المصرف المركزي قد لا تغطي احتياجات البلاد بعد هذا الشهر.

اجتماع المغرب جاء بعد فترة شهدت لتكثيفا للعمل العسكري الذي استهدف بصورة رئيسية المرافق النفطية، خاصة بعد سيطرة مجموعات الإسلاميين على حقل مبروك والباهي مؤخراً. وموارد النفط تشكل عصب اقتصاد البلاد ومورد المالى الوحيد في الوقت الحالي، والسيطرة عليها تعني قوة للطرف المسيطر. ونتيجة للنشاط العسكري المكثف، فقد تآرجح الانتاج النفطي الليبي بين 250 ألف برميل يوميا ونحو 850 ألفا مقابل 1.6 مليون برميل يوميا قبل اندلاع الثورة، وهو حاليا في حدود نصف مليون برميل. على ان تنالي الضربات العسكرية خاصة بالإعلان عن عدم تمكنها من أدى الى قيام مؤسسة النفط الوطنية الليبية بالإعلان عن عدم تمكنها من الوفاء بالتزاماتها التعاقدية مع زبائنها الأجانب في 11 حقلًا. وشهد أواخر العام الماضي إغلاق ميناء رأس لنوف والسدر، وعبرهما يمر نصف الإنتاج النفطي الليبي. أحد النتائج الكارثية لهذا الوضع هو قيام الشركات الأجنبية بإجلاء العاملين لديها خوفاً على سلامتهم، وهو ما يمكن أن يؤدي الى عدم القدرة على توريد كميات كافية من الخام الى المصافي المحلية



ليتم تكريرها وتوفير الاحتياجات للاستهلاك من المواد النفطية المكررة، ومعروف ان ليبيا استقطبت مجموعة من الشركات الأميركية مثل كونوكو وفيليبس والإيطالية أيني والفرنسية توتال وغيرها. والاستمرار في تدهور الوضع الأمني، خاصة إذا صحبه وجود مؤكد لداعش في ليبيا، سيؤدي الى اضمحلال الاستثمارات في الصناعة النفطية وهو ما سيؤثر على وضع الإمدادات المستقبلي، كما حذرت الوكالة الدولية للطاقة.

قراءة مختلفة

الوضع المتدهور في كل من المصرف المركزي والمؤسسة الوطنية للنفط يعتبر من العوامل الضاغطة باتجاه التوصل الى توافق وطني حتى يمكن لهاتين المؤسستين العمل على أسس مهنية ولمصلحة البلاد ككل وبدون الانحياز الى فصيل سياسي معين وقبل أن يبلغا مرحلة الانهيار الكامل. الفترة الأخيرة شهدت كذلك البروز القوي لتنظيم الدولة الإسلامية حيث أعلنت بعض المجموعات الولاء لها مقدمة أوراق اعتمادها عبر إعدام 21 من المصريين الأقباط، وهي الحادثة التي دفعت بمصر الى القيام برد فعل عسكري تمثل في شن غارات جوية على مدينتي درنة وسرت.

# 10949 امرأة، أو التاريخ المنسي للمناضلات الجزائريات

يشير هذا العنوان الغامض إلى عدد المقاتلات في صفوف الثورة الجزائرية، الذي اعترفت به كل من المنظمة الوطنية للمجاهدين ووزارة المجاهدين. وقد أنجزت المخرجة الجزائرية نسيمية قسوم فيلمها الوثائقي «10949 امرأة»، كلقاء مع المجاهدة نسيمية حبلال التوفية في العام 2013 عن عمر يناهز الـ85 عاماً. تقول قسوم: في الجزائر، أخبرتني البطلة النسيمية للثورة الجزائرية نسيمية حبلال قصتها كامرأة في الحرب، ونضالها من أجل جزائر مستقلة. تلك المرأة الساحرة، مع قدر كبير من السخرية والمرح، قدمتنى إلى مقاتلات أخريات، بابه ونبيلي. ومن خلال قصصهن عاد التاريخ إلى على طريقة القصة المنقولة من الجدة إلى الحفيدة. اعتدت أن أعود كل عام لزيارتهن. والفيلم يوثق لعملية نقل هذا التاريخ من الجيل الأول إلى الجيل الثالث.

ترسم قسوم عبر شخصية نسيمية حبلال صورة للمجاهدة مثال، حيث يترك الفيلم (الذي تُقدِّمُ إليكمانيات محدودة من دون أن يخلو من ذكاء فائق وإحساس أنيق) لدى المشاهد أثرًا عاطفيًا بالغًا لما تعكسه شخصية هذه المرأة، الطاعنة في السن والمرهقة، من شجاعة وعناد وحب للحياة. وقد تجمعت قسوم بشكل ملموس في خلق مناخ من الثقة والحميمية والاحترام مع هذه القائمة العملاقة، وإنما المتواضعة، التي تعدُّ أحد أبرز وجوه المقاومة الجزائرية،

والتي بقيت على توجهها على الرغم مما اختبرته خلال حرب التحرير. وما لاقته من إهمال ونسيان بعد الاستقلال. وعلى الرغم من مصاعب الحياة التي تضاعفت بعد خسارة ابنها الوحيد، يوسف، في العام 2011.

عرض الفيلم مع الجمهور الحاشد، الذي بدأ متأثراً وبأخوذاً بالفيلم، قالت المخرجة، الفرنسية — الجزائرية، إنها أرادت عبر قصتها أن تعيد الربط مع جزء من تاريخ هذه المقاومة المتشعب من خلال البحث عن وجوه فيها لم تأخذ حقها من الاهتمام. وقد نجحت في ذلك، فنسime حبلال تضيء عبر تجربتها الخاصة على مسار طويل من الالتزام والشجاعة، بعدما عرفت السينمائية كيف تستخرج منها هذا المزيج الملتف من الثبات والليونة والمرح الذي يشكل جوهر شخصيتها الأسرة بشكل استثنائي.

كانت نسيمية حبلال، التي غابت قصتها عن الكتب المدرسية ولم تلقِ الاهتمام الرسمي من دولة فاقدة للذاكرة، من الرعيل الأول للمقاتلين. فهي نشطت في بداية الأربعينات في صفوف حزب الشعب الجزائري، كما عملت، بوصفها السكرتيرة الخاصة للجنة التنظيم والتنفيذ بعد مؤتمر «الصومال» (المنعقد في آب/ أغسطس 1956 في منطقة قبائلية عسبية والذي اتخذ قراراً بإقامة المجلس الوطني للثورة الجزائرية، وكسرتيرة شخصية للمناضل عيان رمضان (الذي لعب دوراً مفصلياً في تاريخ الثورة الجزائرية، وغالباً ما اعتُبر القائد «الأكثر سياسة» لجهة التحرير الوطنية، حيث عرف كيف يوحد التيارات

السياسية في كنف الجبهة لمحاربة الصيمنة الفرنسية)، وكذلك للمناضل عيسات إيدير الذي أسس في العام 1956 الاتحاد العام للعمال الجزائريين. خبرت حبلال أيضاً الاعتقال مرتين وأُرسلت إلى «فيلا سوزيني» الشهيرة، التعذيب، وذلك على يد ضباط مجرمين، كفلدمير وفولك، اللذين حطبا، ككتيرين غيرها، بحصانة وعفوَ رسميين. التي كان الجيش الاستعماري يستخدمها كمقر لعمليات التعذيب، وذلك على يد ضباط مجرمين، كفلدمير وفولك، اللذين حطبا، ككتيرين غيرها، بحصانة وعفوَ رسميين. في بداية أزمة صيف 1962 إبان الاستقلال، وجدت نسيمية حبلال نفسها إلى جانب زوجها محمد بن مقدم ورفاقهما في المعسكر الخاسر، الذي لجأ إلى التمرد الداخلي وتشكيل الحكومة الجزائرية المؤقتة. وهكذا، شكّل انقلابيو جيش الحدود ما عرف بـ «مجموعة وجدة» التي استولت على السلطة آنذاك ولم تتركها حتى اليوم. وحيدٌ عن الساحطين السياسية والاجتماعية بشكل تدريجي الصف الأول من المجاهدين والمجاهدات، بعد إنكار تضحياتهم. ومنهم من تمّ شراؤه باعتمادات مالية وامتيازات أخرى، منهم من تمّ تهيمشه ببساطة لرفضه التخلي عن صدقه ونزاهته. بالتأكيد، كانت نسيمية حبلال تنتهي للفتنة الثانية. إذًا، هكذا عاشت حبلال فترة الاستقلال الذي ناضلت من أجله، لتמות وحيدة إلا من بعض فاعلي الخير من الجيران. وعلى عكس الكثير ممن كانت مشاركتهم أقل فاعلية في تحرير الشعب الجزائري، ذُقت المجاهدة نسيمية حبلال من دون أي اعتبارات خاصة، ومن دون حتى أن يُكَلَّف المسؤولون أنفسهم عتاء نعيها. لقد خيمَ صمت مطبق على مشهد رحيلها.

برّمه هذا الوثائقي إذًا حلّ الظلم التي لحقت بحبلال ومثيلاتها، فيعطي مساحة لعزلاء المناضلات اللواتي تحدث عنهن فرانز فانون في كتابه «العام الخامس» للثورة الجزائرية مثيراً سخط الحركات النسوية التي لم تخرج من الصالونات. ويكعب، 10949 امرأة»، من خلال تجسيده حياة تلك الشخصية، صورة أوسع للمعركة التي خاضتها نساء حرات وقويات. فإلى جانب السيدة حبلال، ظهرت المرعبة والمقاتلة بابه لعريبي، وهي إحدى رفيقات النضال التي عُدّبت هي الأخرى بقسوة. في سردها لعلاقتها مع والدها، تعرّز بابه لعريبي ملاحظات فانون عن التحرري والحدائوي للثورة الجزائرية. لكن القوى الجزائرية» من كتابه «العام الخامس».

تعتبر نسيمية حبلال كما بابه لعريبي امتداداً للبعد التحرري والحدائوي للثورة الجزائرية. لكن القوى السياسية التي انتصرت في نهاية أزمة صيف 1962 تركزت لهذه المكتسبات التقدمية، كما سمعت إلى الانقراض من أهمية البعد العالي لصراع التحرر الوطني، بدليل موقفها من المناضلة نبيلي فورجيه، رفيقة نسيمية حبلال في سجون التعذيب.

أطلقت نسيمية حبلال العنان لصراحتها. فتحدثت بشفاافية وتواضع بالغٍ يتميـز بهما من عرف كيف يرتقي إلى مستوى التاريخ. واتقنت المخرجة قسوم الاقتراب من الشخصية إلى أقصى حد، من دون التذلل في رسم خطوطها، فسُمحت للسيدة السنة أن تعبر كما يحلو لها، بسحر مؤزون أحياناً ولكن أيضاً بإنسانية، التقطتها

عسدة المخرجة التي التصقت بشخصية فيلها من دون أن تنتهك خصوصيتها. تصرفت المناضلة على سجيّتها في الفيلم، فشاهدناها تندنن وهي تحضّر الطعام، وغابشنا حسها الفكاهي الذي تستخدمه للتغطية على ما تعتبره نقاط ضعفها، كما في ذلك الجزء الذي تحدثت فيه عن الأول من تشرين الثاني/ نوفمبر 1954 مظهارة بنسيان اسم «... تلك المنظمة الشهيرة.. جبهة التحرير الوطني». تمكنت قسوم، بوسائل محدودة جداً، من أن بقناعة تامة أن هؤلاء النساء لسن محطلات أو رموزاً مجردة، بل لا زلن كما كُنَّ مناضلات سياسيات وكوادر ثورية. فنسime حبلال ورفيقاتها في النضال، كالتوهجة والربكة بابه لعريبي، والطيفة جدا نبيلي فورجيه، يجسدن جميعهن صورة ساطعة لشخصية المناضل الملتزم والممتلك لزمام قراره.

وأخيراً، يحسب لفيلم «10949 امرأة»، الذي «يخترن الكثير بما يخفيه ولا يقوله، مساهمته الواضحة في كتابة تاريخ يحتاج للكثير من التوثيق بعيداً عن الأسطورة ومعادلة الأحلاف، وهو يشارك ببراءة في سدّ هذا النقص الفادح.

عمر بن درة

اقتصادي من الجزائر



فتحى الوحيد الذي يقوم بالنقد الذاتي يفعل هذا بين الحين والآخر. لا أهم، جميع المعتقلين يأكلون في وقت الأكل، ويشربون في وقت الشرب، ويتبولون في وقت التبول، ولكن النقد الذاتي، في أي وقت يأتي النقد الذاتي؟

مرت دقيقة قبل أن يتقلب على إحباطه ويقوم ممسكاً بعصاه وبيداً في ضربه، وأنا أفق خلفه ممسكاً بسلاحي لحمايته، مضى يضربهم على رؤوسهم وظهرهم ومؤخراتهم وهو يصرخ: «النقد الذاتي يا بقر، النقد الذاتي، النقد الذاتي مهم، الحقيقة متعددة، الحقيقة نسبية يا بهائم». وعندما سقط جميع المعتقلين وهم يتلوتون من الألم، خرجنا وأغلقتنا باب الزنزانة. أخذ يلهث ثم قال لي إنه لا يضمن نجاح التجربة، ولكنه على الأقل حاول، وأن لم يكن المعتقلون قد تعلموا الآن أهمية النقد الذاتي فهذا يعني أنه لا أمل فيهم مطلقاً. حسدته مرة ثانية على طيبة قلبه وأشعلت له سيجارة.

## النقد الذاتي يا بقر

جلست مع زميلي في نوبة الحراسة. قال لي إنه أحياناً يتعاطف مع المعتقلين المحبوسين في الزنزانة، وأحد على أن هذا يحدث ليس لأنهم طيبون ولكن لأنه هو الطيب، وهذا فارق كبير. حسدته على طيبة قلبه، ولكني ذكرته بأن الطيبة أحياناً تنقلب إلى سذاجة. فهؤلاء متعصبون جداً، والدليل أنهم لم يقوموا بالنقد الذاتي لأفكارهم ولا مرة. ألا يحتمل أنهم خطأ؟ كيف يملكون كل هذا اليقين من أن الحقيقة نسبية. سألني بدهشة إن لم يكونوا قد قالوا باي نقد ذاتي من قبل؟ قلت له، أبداً وحياتك، ولا مرة.

قام من على كرسيه وفتح باب الزنزانة وسأل المعتقلين إن كانوا يقومون بالنقد الذاتي. وعندما لم يجبه أحدهم زعق قائلاً، أنا أسأل عن النقد الذاتي، من فيكم قام بالنقد الذاتي؟ لم يرد أحد باستثناء معتقل واحد بنظارة قال بتردد إنه يقوم أحياناً بالنقد الذاتي. سأله الشاويش متى يفعل هذا، فقال إنه لا يعرف، وإن هذا لا يأتي في ميعاد محدد. جلس الشاويش على أرض الزنزانة ووضع وجهه بين كفيه ثم نظر لي وقال إنه محبط جداً،



## مصر «العائدة» من ليبيا و«العالقة» فيها

«أدخلوها بسلام أمين.. مصر بلد الطيبين»، هذه العبارة المعلقة على لافتات شاهقة تحت سماء مصر لم تحل يوماً دون الجدل القائم في نفوس المواطنين المصريين، مع توالي الأجيال، حول أيهما أكثر أمناً وكرامة: العيش داخل مصر أم خارجها؟ هل أصبح هناك من مجال، وبسط ضيق العيش والفساد وفظاظة الجهات الأمنية للعيش أمين داخل مصر، وهل لا زالت هي بلد الطيبين، أم أنها كلمة «بريئة» أكثر مما ينبغي، بحيث لا يمكنها أبداً أن تشمل الجميع؟ أم أن هذه العبارة لا تخص أصحاب الوجوه المرهقة وتقتصر فقط على من جاءوا بلائس نظيفة لرؤية مصر الجميلة في التلحاح والنتقاهات؟ طغى هذا الجدل للحظات حين ظهرت صور العمال المصريين العائدين من ليبيا وهم يخطون أولى خطواتهم فوق أرض مطار القاهرة بينما اللافتة العتيقة تعلق رؤوسهم.

### العيش بالجحيم

عائدون هم من الجحيم بلا شك، لكن إلى ماذا عادوا؟ فهم يعلمون أنه لو كان لديهم ما يوفر كرامة البقاء، لما رحلوا. كنتم وعلى الرغم من مرارة الخوف من المستقبل فلا يمكنهم إلا الاستسلام لحقيقة أنه لا شيء يضيء الحق في الحياة نفسها، ولا شيء أكثر بشاعة من مشهد «سكين فوق الرقاب» يلحق الأذكرة.

لا توجد تقديرات رسمية مؤكدة حول أعداد المصريين في ليبيا، التي حد أن يتأرجح الرقم ما بين 200 ألف إلى مليون مصري. وقد جاءت أرقام أخرى مؤكدة وصادمة، تلك الخاصة بأعداد المصريين العائدين من ليبيا - عقب مذبحه «شهداء لقمة العيش» التي حصلت أرواح 21 قبطيا مصريا على يد إرهابي داعش. الأرقام الرسمية تقول أن من عادوا عبر المنافذ البرية في الشرق لا يزيد عن 11 ألفاً و567 مواطناً مصرياً منذ بداية الأزمة وحتى الآن، أما من جاءوا من الغرب عبر الخطوط الجوية المصرية والنوتسية فلم يتخطوا الـ1050 مصرياً.

كيف يتدبر العالقون هناك بأحلامهم سبل تأمين حياتهم؟ وهل الخوف من كابوس عدم القدرة على توفير حياة كريمة عند العودة يجعل شبح الموت مستأنساً رغم كل شيء؟ سؤال يردد الجميع في همس داخل سرادق الغراء على الشهداء، وفي لقاء أجرته وكالة «رويترز» سرا

مع عدد من المصريين داخل المدن الليبية، قال شاب مصري يحمل مؤهل تعليم متوسط ويعمل في أحد المخابز بمدينة بني غازي «محدث فينا يقدر يخرج من مكان الشغل، الأوضاع في الشارع خطيرة جداً، والليبيين يبقولوا لي أنا أي مصري هيخرج للشارع رقبته هتطير». تزايدت هذه التهديدات عقب توجيه ضربة عسكرية مصرية لمواقع داعش - حسب البيانات الرسمية - وهي الضربة التي يختلف حولها الليبيون اختلافاً يشبه انقسامهم السياسي بشكل عام - ورغم هذا لم يجد الحج محمود 53 عاماً من مفر من الاستمرار في العمل داخل مدينة سرت نفسها «المكان المرجح أن تكون عملية الذبح قد نفذت به»، فأرسل مع أحد العائدين رسالة لزوجته قال فيها «صعب أخرج للشارع في ليبيا لكن صعب كمان أرجع مصر.. ادعوا لي، وهابعت لكم الفلوس في أقرب وقت».

### أوجاع ما بعد العودة

اللافتة الواعدة بالأمان والطمأنينة لم تتمكن من استيعاب موقف العودة ككل أو أحلام العالقين بالرجوع، فرغم ما أعلنت الحكومة المصرية على لسان وزير العمل من توفير 33 ألف فرصة عمل للعائدين من ليبيا، فإن الشكاوى المريرة قد ظهرت على لسان الكثيرين منهم رغم دموعهم التي بللت التراب، فحكوا عن تعنت إجراءات الأمن في الدخول إلى مصر وعن إجبارهم في اليوم الأول على الانتظار لمدة 24 ساعة داخل المطار حتى وصول وزير الخارجية لاستقبالهم رسمياً وبسط الكاميرات، أما بعد رحيل الكاميرات وتبادلهم هم وحدهم أرقام الهواتف، فقد تراءى للعشرات منهم التحرك في اتجاه ميدان التحرير عقب مرور أسبوع على وصولهم، تحديداً أمام مقر الخطوط الجوية المصرية الليبية للتظاهر ومطالبة الحكومتين بالعمل على صرف تعويضات عادلة عن اضطراهم لخسارة أعمالهم وعدم تمكنهم من تحصيل مستحقاتهم المالية بسبب الظروف السياسية.

ومن قلب القاهرة إلى أطراف الصعيد، حيث قرية «العورة» ذات النصب الأكبر من الفجعة إذ ينتمي لأرضها 17 من «شهداء لقمة العيش»، حيث صلى أقباط المدينة داخل كنيسة من أجل القتلة، وفي لقاء تليفزيوني، تملك ملايين المشاهدين الرجفة والدهشة وسيدة عجوز هي أم أحد الشهداء تقول «هاقول ربنا يسامحهم ويهديهم. هادعي عليه مثلاً؟! هيفيد بايه.. ربنا يهديهم عثمان لسه في مصريين كثير لسه هناك، ولسه غيرهم هيسافروا، هيعملوا ايه، لقمة العيش لها احكامها».

وكانت الحكومة المصرية قد أصدرت قراراً منذ منتصف كانون الثاني/يناير الماضي بمنع سفر المصريين إلى ليبيا تحت أي سبب، إلا أن هذا لم يمنع السفر غير الشرعي عبر المراكب، وهو ما نتج عنه خطف 21 صيادا مصرياً آخر لا زال مصيرهم مجهولاً، بينما ترددت أنباء عن رؤيتهم بين يدي القتلة في استعراض داخل مدينة سرت الليبية، ومشهد الأهالي يتكرر داخل القاهرة حيث البكاء والغضب وتحميل الحكومة مسؤولية سلامتهم والعودة بهم..

يفرق بالجحيم عائدون وعلقون ليس لديهم وقت لمناقشة صحة مواقفهم، بينما ملايين المصريين زادهم مشهد الذبح انقساماً رغم توحدهم في الوجد. ففريق يؤيد موقف الحكومة المصرية من الصراع السياسي في ليبيا ويوجهه أمراً لا يد منه لمواجهة خطر المد الإرهابي المتسلم على مصر، والذي يكون بتوجيه ضربات جوية سريعة كفعل صحيح وقوي من دولة تستطيع إعطاء رسائل واضحة بامكانية مواجهة، بينما فريق آخر يرى أن توجيه ضربة جوية إلى معسكرات في ليبيا، وما تردد عن سقوط ليبيين مدنيين أبرياء هو خط محفوف بالمخاطر، ويورط النظام المصري الحالي في دعم طرف سياسي في ليبيا ولا يدفع ثمنه غير المصريين هناك الذين لم يتم اجلاء إلا ما يعادل 10 في المئة منهم.

وما بين وجهتي النظر اللتين لا يخفى احتدام أصحابهما، صوت أوسع يتردد ويسائل الجميع الهدوء والاعتراف بأن من ذبحوا ومن يمكن أن يأخذهم طريقهم للذبح قد تم ذبحهم معنوياً من قبل، عندما لم تستطع الحكومات المصرية المتتالية عبر العقود تحقيق تنمية حقيقية ووقف النهب والفساد، مما دفع بلايين المصريين - المحبين حسب علوم الانثروبولوجيا للاستقرار - إلى الترحال شرقاً وغرباً بحثاً عن لقمة العيش.

هذا الصوت المثلث بالوجد والخوف من المستقبل، عبر عنه أحد مستخدمي مواقع التواصل الاجتماعي بعبارة أيها الألاف، وهي تنظر إلى الأطراف المختلفة وتقول لهم «يستطيع كل فريق أن يجد في ما يحدث وجهاً للاستغلال ضد خصومه، لكن منطق البصيرة يقول إن المركب يفرق بالجحيم».

### منى سليم

صحافية من مصر

60 مليون دولار هو ما طلبته الـ «يونيسيف» في نداءها الأخير لدعم أطفال اليمن «في هذا الوقت الحرج»، تلبية لحاجاتهم، وهم «الأكثر حرماناً» في اليمن في العام الحالي. وقال ممثل «يونيسيف» جوليان هارنس بأن الأزمة الإنسانية المعقدة في اليمن «مزمنة في ظل حاجة نحو 14.7 مليون شخص إلى مساعدات إنسانية».

فاطمة حسن الفروج / المغرب

حلم..



arabi.assafir.com

المزيد على موقع «السفير العربي»

- موريتانيا: أي مستقبل لأكثر شركات الدولة؟ أحمد ولد جدو

- اليونان عند مفترق طرق ليس يبعيد عنّا، محمود الخفيف

- تابعونا على «فايسبوك»: السفير العربي - Assafir Arabi

- تواصلوا معنا على «تويتر»: @ArabiAssafir

## .. بألف كلمة

عشرون ألف مصري يعملون في مقالع الحجارة شمال محافظة المنيا في ظروف قاسية للغاية، يستنشقون غاز السيليكا، ويستخدمون آلات حادة تسببت في حوادث بتر لأيدي بعضهم أو أرجلهم. ويعمل في هذه المقالع أطفال تتراوح أعمارهم بين التاسعة والثامنة عشرة. وكثير من العمال يأتون من قرية جبل الطير وغيرها من القرى القبطية المهدمة التي تنتشر في المنطقة، والتي ينحدر منها العمال الذين ذبحهم «داعش» في ليبيا.



تصوير: محمد علي الدين



## مدونات

### ثمن بناء عاصمة جديدة

منذ يومين اتصل بي صديق يخبطني بأن الحكومة قررت بناء عاصمة جديدة لمصر على طريق القاهرة - السويس. فرددت عليه قائلاً إن ذلك الخبر لم يتأكد بعد وأغلب الظن أنه إشاعة المقصود منها تشويه صورة الحكومة. فليس من المعقول أن تقدم الحكومة على خطوة كهذه تغير بها من طبيعة البلاد، وتاريخها، وجغرافيتها، وسياساتها، واقتصادها دون مداولة أو دراسة أو مناقشة.

ولكن بما أننا بالفعل نتعامل مع نظام يسمح لنفسه أن يعيد تشكيل جغرافية البلاد وتاريخها، حرفياً لا مجالاً، ثبت اليوم أن ذلك الخبر صحيح وليس إشاعة كما توهمت أو تمنيت. فوزير الاستثمار، أشرف سالم، طلع علينا مصرحاً بأن الحكومة اتخذت بالفعل قرار بناء عاصمة جديدة نظراً «لشدّة الازدحام في القاهرة، ومن أجل نقل كل المباني الحكومية». وأضاف الوزير إن المشروع سيستغرق 12 عاماً وستبلغ تكلفته الإجمالية حوالي 500 مليار جنيه. وليس للمرة الأولى أجد نفسي مضطراً لأن أفكر في البدديات حتى أستطيع استيعاب مدى التخطيط الذي تتعامل به الحكومة مع مشاكلنا.

من صفحة khaled.fahmy على فايسبوك (2 آذار/مارس 2015)

## عن الأحزاب السياسية في اليمن...

قبل أحداث 2011، كنا نمتلك 22 حزبا وتنظيما سياسيا. الآن يوجد قرابة 30 حزبا. لماذا كل هذه الأحزاب في اليمن؟ من المتعارف عليه أن قضايا الناس في أي بلد في العالم تقتصر على عدد محدد من القضايا الرئيسية، مثل التعليم، الصحة، البطالة وخلق فرص عمل، البنية التحتية، وقضية الأمن والاستقرار (قضية مهمة بالنسبة لليمن في الوقت الراهن). وعادة، يعمل الحزب أو التحالف الحاكم على تحقيق هذه القضايا وفق سياسات وبرامج محددة ويحصل من خلالها على دعم الناخبين في الانتخابات. في المقابل تعمل الأحزاب والتنظيمات السياسية المعارضة على تقييم ومتابعة أي ثغرات في تلك السياسات وعلى تبني برامج متطورة تهدف من خلالها الحصول على دعم الناخبين في الانتخابات التالية كي تصل هي للحكم كبديل أفضل.. وهكذا.

وبالنظر إلى العدد الهائل من الأحزاب السياسية في اليمن، فهل يعقل أنها تمتلك رؤى مختلفة نحو هذه القضايا؟ مع تبني التعددية السياسية في اليمن مع الوحدة في 1990، كان من المفترض أن توضع ضوابط لتشكيل الأحزاب بحيث يتم تجنب تشكيل دكاكين أصحابها ليسوا معينين بخدمة المجتمع بقدر ما هم مهتمون بخدمة مصالحهم. ربما كان الهدف من السماح بهذا العدد من الأحزاب تشتيت الأصوات حتى تظل الأحزاب الرئيسية الثلاثة هي المسيطرة.

من صفحة Hakeem Azzadeen على فايسبوك (5 آذار/مارس 2015)

## وانتصرت انتصار

يستمر الطوفان الأسود باغتيال نساء وطني، يطفئ شموع الحياة في أعينهن ويدفن أحلامهن غصبا برصاص الغدر.

انتصار حسن الحصارتي شابة ليبية تقطن العاصمة طرابلس طالبة ماجستير ناشطة حقوقية عضوة في حركة التنوير، شابة مليئة بالحياة، نشيطة مثقفة طموحة تحظى باحترام الكثيرين، فقدت والدتها منذ ثلاثة أشهر بعد صراعها مع المرض. كانت تستعد لدخول حياة جديدة، لتعشق الكتب والقراءة، كانت من الأعضاء الفاعلين في مهرجان الكتب المستعملة الذي لاقى رواجاً كبيراً لدعم ثقافة القراءة. اغتيلت برصاص الغدر الوحش، ووجدت جثتها في حقيبة السيارة برفقة عمته المسنة التي كانت ترافقها، قتل غادر فقط لأنها كانت تطالب بجيش وشرطة ووطن يسوده الأمن والأمان، كم أنت قاس أيها الوطن، لا تحضن أبناءك بسلام، اغتيال النساء وإسكات أصوات تنادي بالحق والأمان في زمن غابت فيه النخوة وسيطرت فيه أيدي الوحوش الغادرة التي لا تعي إلا لغة الدم والرصاص.

غابت فيه النخوة وسيطرت فيه أيدي الوحوش الغادرة التي لا تعي إلا لغة الدم والرصاص. نامي قريرة العين إلى جنات الخلد برفقة عمك وقبلك سلوى وفريحة، فوطني يتقاذفه المتخاذلون وتطمس فيه عيون المحلقين للنور والحياة وستيقن أنت المنتصرة وهم الخاسرون.

من أجل ما كتبت على حائطها... ليت دماء كل هؤلاء الشباب والعائلات والبيوت كانت ثمن لاستقرار نتحسسه رويدا رويدا، ولكن كل تلك الجثث المظاهرة الزكية الندبة الشابة ليست إلا طريقاً مهددة ليمتطي عليها المتبحرون.

من مدونة أحلام البديري (25 شباط/فبراير 2015)  
ahlamebadri.libyablog.org